

عامُ على الطوفان



محمد عبده
شاعر

عامُ بَغْزَةً تحت القصف لم تنم أرضَ الرِّبَاطِ بحبل الله فاعتصمي

للشاعر محمد عبده

عامٌ بَغْزَةً تحت القصف لم تنم
أرضَ الرِّبَاطِ بحبل الله فاعتصمي
يا غَزَّةَ النَّصْرِ أنتِ اليومِ صامدةٌ
رغم الجراحِ ورغم التَّرفِ والألمِ
رغم ارتقاءِ لآلافٍ من الأسرى
شيخٍ وطفٍ لآبٍ وكذلك الأمِّ
رغم الحصارِ وبعضِ العُشبِ مطعمكم
ولربما سُرِّبَتْ بعضٌ من اللَّقَمِ
أسرىً بأكملها تمضي ولم يجدوا
أحدًا لتعزيةٍ في الأهلِ والرَّحمِ

والأمُّ تمضي وقد يبقى لها الطفلُ
عيناه ترمق تحت حجارة الـدم
والأمُّ والزوجة والابنةُ احتسبت
أعلى الأحيّة تحت القصف والهـدم
والناس تخرج وسط الليل في فزعٍ
متنقلين من الخيمِ إلى خيمِ
صوّر الصحابة هل عادت بأمثالِ
في أرض غزّة تحيي سالفَ الهمِ
كم من تكالي هنا ترضى وصابرة
وكم صغار لهم عانوا من اليتيمِ
وكم جراح هنا في القلب غائبة
تشكو إلى ربها بالدمع منسجمِ
أمّ الشهيد تزرع عند رؤيتها
وجه الشهيد يضيء معطرًا بدمِ
قد احتسبتك عند الله يـا ولدي
فديّ لديني وللأقصى وللحرمِ
وكم تكرر للخنسـاء مشهدها
والأمُّ ترضى بدمع القلب منكتـمِ
خذ من دمانا إلهي إن رضيتَ فقد
لنا المنى ربنا يا سابع النـعمِ
تري التنافس في نيل الشهادة من
جندٍ وقادتهم سعدوا إلى الأنجمِ
مستبشرين بفضل الله في فـرحِ

يا حُسْنَ مَبْتَدَأٍ يا طَيِّبَ مُخْتَتِّمِ

صِفْ يا " هَنِيئَةً " كيف الحال عندكمو

ما بين مُنْشَرِحٍ مِنْكُمْ وَمُبْتَسِّمِ

والطائراتُ تحومُ غيرَ عابئَةٍ

بحقوقِ إنسانٍ أو هيئةِ الأُمَمِ

تلكَ الحقوقِ لإنسانٍ وقد زعموا

محضَ افتراءٍ فبئسَ الزيفَ والزَّعمِ

لا يضربون سوى من خلفِ أُنْعَمَةٍ

جُدِّرٍ مُحصَنَةٍ بالجبنِ تتسَمِ

طوفانِ غزاةٍ قد قلبَ المعادِلَةَ

ليُظهِرَ الحقُّ فوقَ الشكِّ والتُّهَمِ

عامٌ بغزاةٍ أحيا الروحَ في الهممِ

بدءُ الصعودِ إلى العلياءِ والقممِ

مستبشرين بنصرِ الله نرقبه

رغمَ الضحايا ورغمَ الفقدِ والألمِ

وأهلِ غزاةٍ لم يعطوا الدنيَّةَ، بل

مستمسكون بحبلٍ غيرِ مُنْفَصِمِ

حبلٍ من الله ربِّ الناسِ خالقهمِ

عليك معتمدي يا واسِعَ الكرمِ

مسافةُ الصفرِ قد صارت هنا مثلاً

في الرَّميِّ والقذفِ والتفخيخِ باللَّغمِ

دبابَةٌ قد أتت حصناً محصناً _____
 بالجند في جوفها بالرعبِ مِنْهُمِ _____
 يسعى إليها الفتى شوقاً يفجرها
 أكرم به من فارسٍ أنعم به من ضِرْعَمِ
 فتىً يفاجئُهُ _____ ما همُّه أن يُرى
 من غير سترته أو عاريَ القِـــدمِ
 أسدُ الشرى تنبري تنقضُ في فجأةٍ
 تذيق جند العدا الكأس من علقمِ
 وقد أعدوا لهم قدرَ استطاعتِهِمِ
 من مبلغ الجهد من سيفٍ ومن قلمِ
 والناس تحتضن تلك المقاومة
 كمثل أسورةٍ تحيط بالمِعصمِ
 يا نعم حاضنة ترعى مقاومةً
 لتنوبَ عن أمّتي وتبرَّ بالقَسَمِ
 " والظلم إن تلقه بالسلم ضيقت به
 ذرعا وإن تلقه بالسيف ينهزم "

ظنوا التجول في غزّة نزهةً
 وقالوا في ساعةٍ تلقى إلى اليَمِّ
 فإذا بهم وجدوا في غزّة صخرة
 تردُّ كيد العدا في كلِّ مُصطدمِ
 وكم بغزّة من صبرٍ ومن ألمِّ

لكنّ عند العدا الأضعافُ من ألسنهم
لكننا نرجوهم من ربنا ما لا
يرجو العدوُّ من الأفضال والنعمهم
والله غايتنا نعم الوليِّ لنا
نرجو رضاه ونرجو حُسن مختتمهم
شهادونا في جنة متنعمين بهما
مستبشرين بلا خوف ولا همّ
يا غزة النصر ان الحق منتصـر
بالحق فاستمسكي بالله فاعتصمي
وقفتِ كالشوكةِ في حلقِ باطلهم
مرفوعة الرأسِ في عزِّ وفي شممهم
ضريبة العزة عن أمتي سدّدتُ
من غزة العزة بالبذل والغُرم

طوفان غزة كم أعطى الدروسَ لنا
للشرق والغرب أو للعرب والعجم
طوفان غزة لا نُحصي فوائده
للوعي في أمتي أو سائر الأمم
عن عودة الروح في أجيالنا عرفت
معنى الدفاع عن الأقصى عن الحرم
من كان يحلم بالتطبيع من حُكّامنا
طوفان غزة بدّد سكرة الحلم

طوفان غزاة بعثت في النفس—وس أتى
بخاطب الفطرة تشتاق للقيـم—
في الجامعات بأمریکا وأوربا
ثار الشباب كسيـم—ل هادرٍ عَرمٍ
والناس تسأل عن سر الصمـود هنا
رغم الدمار ورغم النار والهـدم
رغم الحصار ورغم القصف والحمم
لماذا غـزة ما هانت ولم تستسلم
رغم النزوح بلا أمنٍ ولا سـكنٍ
سوى العراء ومن خيمٍ الى خيـمٍ
رغم الضحايا بآلافٍ مؤلفـة
رغم الجراح تننُّ بشدة الألسـم
رغم استغاثتهم هل ثمَّ معتصـم
وليس ثمة مأمون ومعتصـم
سرُّ الصمود بغزة ليس نفهم—ه
فمن يدلُّ على الأسباب والحكـم
قالوا لهم إنه القرآن من هديـه
طوبى لمستلمٍ طوبى لمستلهـم
والبعض يُقبل في شوقٍ وفي لهفٍ
والبعض يقرأ في شغفٍ وفي نهـم
ترى مياديـن أمريكا وأوربا
فيها مظاهرة بالحشد مزدحـم
هتافهم أوقفوا فوراً إبادتكـم

لشعب غزّة في حــــربٍ وفي جرمٍ
تلك الضرائب هل تُجبي لخدمتنا
أم للسلاح ليحرق ساكني الخيــــم
طوفان غزّة أحيّا الناس أفهمــــها
ما كان من قبل يستعصي على الفهم
رؤساء أمريكا والغرب في قبضــــة
بيد الصهاينة كعبادة الصنــــم
حرب الإبادة في وحشية أيقظــــت
حرّ الضمائر من عرب ومن عجم
رغم الدمار ورغم القصف مستعرٌ
مازلت يا غزّة مرفوعة العــــلــــم
تلك الأباطيل قد حيكّت وقد نُسجت
من الصهاينة أفضت إلى العدم
وأن ما يدعون اليوم من سَفــــه
فُضح سخافته في سائر الأمــــم
فليس للمعتدي حقٌّ بأرضٍ لنــــا
سوى افتراءات لغاصب مجــــرم

حقوق إنسان والغرب روجها
عدلٍ وحريةٍ أو سائر القيــــم
تلك الحقوق شعــــارات مزيفة
حسب الهوى عندهم تعطى وتقتسم

بئس المكاييلُ — إن كَيْلت بِمُخْتَلِفٍ
من القياس بحسب الجنس والقومِ
إن كان من عجم يُعطى كأوكرانيًا
أو كان في غزّة فالقصف بالحممِ
والعدل إن لم يكن في الناس مشتركًا
على السواء فذلك أبغض الظلمِ

نعود للعرب إذ حكامهم — أعرضوا
عن الوفاء بحق الجار والذم —
أين الجيوشُ وأين نشيدُنَا الوطني
أين العروشُ وأين تحيةُ الع —
مصر العريقة قد ديّست بمعب —
من العدو بلا عتبٍ ولا ل —
”مسافة السكّة“ هل كان مقصدها
حصراً إلى ليبيا أو قل إلى ش —
دول الجوار فأين اليوم نخوتُها —
ذهبت معونتهم للمعتدي المج —
ومن تسلل يبغي نصر إخوت —
يبغي الشهادةً يلقى المنع في ح —
إلا من احتال في حرصٍ وفي ح —
ينوي الشهادة والإقدام في ع —
طوفان غزّة قد جَلَى الأمور لن —

حكامنا للعدو اليوم كالخــــــــــــــــدم
شعوب أمتنا تغلي الدمــــــــــــــــاء بها
لنصرة الجار والقربي ذوي الرحمــــــــم
وإن هنا أحد أبدي تعاطفــــــــــــــــة
تلقى له عندهم سيلاً من التــــــــــــــــهم
دول الجوار بها حرس الحــــــــــــــــودود له
الأمر بالمنع للشهم وللدعــــــــــــــــم

والناس تسأل أين المسلمــــــــــــــــون إذن
أين الدعاة ذوو الإقدام والهمــــــــــــــــم
أين الجماعة ملاء السمع والبصــــــــــــــــر
أين الأصول بإخلاص مع الفهــــــــــــــــم
ومنهم الأسد خلف الســــــــــــــــور تنتظر
قد لُفِّتَ لهمو إفا من التــــــــــــــــهم
والأســــــــــــــــدُ قالت لهم فلتخرجونا إذن
نحرر الأرض والأقصى مع الحــــــــــــــــرم
والمسلمون كحَبَّاتِ بمسبــــــــــــــــحة
والخيط يلزم للتجميــــــــــــــــع والضمــــــــــــــــم
لا تحقرن من المعــــــــــــــــروف ما وسعت
به استطاعتك بالبذل والدعــــــــــــــــم
من الدعاء ومن وعي وتوعيــــــــــــــــة
شارك بجهدك من قلم ومن درهــــــــــــــــم

ومن تقاربنا صفاً إلى صفٍّ

ومن مقاطعاً لتجنب الإثم

يا دعوة الحقّ إن الحقّ منتصرٌ

مهما تكبر بالطغيان ذو غشٍّ

يا ربّ فرّج بنا ما حلّ من كُربٍ

واحفظ بلاداً لنا من ظالم مجرم

فرق جموع العدا من كل مغتصب

وردّه ربنا بالخزي منه

وافضح نفاقاً هنا في زي أنظمة

أسدّ علينا وللأعداء كالغنم

خذلان حكامنا إجرام حكامهم

نشكو إليك وأنت خير منتقم

بك نستغيث لغزة هاشم تقف

للهول مقتحم للموج ملتطم

وارحم شهيدا لهم واشف مريضهم

واذن لجرح لهم بالعفو يلتئم

وانصرهمو ربنا واكتب لأمتنا

فرحاً بنصرهمو وبرفعة العلى

هيبٌ لنا ربنا من أمرنا رشدا

حتى نحرر أرض الحل والحرم